"منهج السالك" و"ارتشاف الضرب" لأبي حيان الأندلسي
دراسة منهجية مقارنة

م.م.دعاء نافع بدري كاظم
وزارة التربية/ المديرية العامة تربية بابل

الملخص:

إنَّ أبا حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) من أبرز علماء النحو واللغة في التراث العربي، حيث ترك إرثاً علمياً غنياً يشهد على سعة اطلاعه وعمق منهجه. ومن بين مؤلفاته العديدة، يبرز كتابا "منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك" و"ارتشاف الضرب من لسان العرب" كعملين رئيسيين يعكسان تطور فكره النحوي ومنهجه التحليلي. تقدم هذه الدراسة مقارنة بين الكتابين من حيث الأهداف والمنهج والمحتوى والخصائص.

يعد كتاب "منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك" هو شرح لألفية ابن مالك، أحد أهم المتون النحوية في التراث العربي. يهدف أبو حيان في هذا الكتاب إلى شرح الألفية وتوضيح مسائلها النحوية، مع التركيز على الخلافات بين المدرستين البصريّة والكوفيّة .

أما كتاب "ارتشاف الضرب من لسان العرب" فيعد موسوعة نحوية شاملة جمع فيها أبو حيان منابع النحو وروافده حتى عصره، حيث يقدم رؤية أوسع وأشمل للنحو العربي، مع إضافات منهجية ولغوية مهمة .

- يعتمد كتاب منهج السالك على العرض الموضوعي للآراء النحوية في كثير من الأحيان دون ترجيح، حيث وجدت الدراسة أن ابا خيان لم يرجح في كثير من المسائل الخلافية التي تناولتها في كتابه (منهج السالك)، بل اكتفى بعرض الآراء،أما في كتابه الاخر ارتشاف الضرب، يظهر رأيه واضحاً وأكثر جرأة في الترجيح والنقد، حيث يقدم منهجاً فريداً يمزج بين الثقافتين المغربية والمشرقية . كما يعتمد على المقارنة بين اللغات السامية في حل بعض الإشكالات اللغوية

وأيضاً أن منهج السالك كان اكثر ما يركز على المسائل النحوية الواردة في ألفية ابن مالك وشرحه لابيات الالفية، مع عنايته بذكر الخلاف بين المدرستين النحويتين الرئيسيتين وبين

أفرد للمدرسة الواحدة ،أما في كتابه ارتشاف الضرب فنراه يتجاوز النحو إلى مجالات أوسع تشمل الصرف واللغة والدلالة، مع اهتمامه الخاص بعرض اراء النحويين وترجيح بعضهم ورد البعض الآخر وكان عرضه لآراء النحويين عبر العصور بشكل موسع.

ولا يفوتنا ان نذكر انه في كتابه منهج السالك يعتمد كثيراً على الاستشهاد بالقرآن الكريم والشعر العربي الفصيح، إلا أنه لا يعتني بنسبة الأبيات الشعرية إلى قائليها،ومن جانب آخر نرى أن استشهاده بالحديث النبوي والأمثال قليلاً قياساً بالقرآن والشعر.

أما في كتابه ارتشاف الضرب كان أوسع أبوابه يستشهد بمصادر أكثر تنوعاً، مما يعكس سعة ثقافته اللغوية وكذلك يعد كتاب ارتشاف الضرب موسوعة نحوية شاملة ؛لان يمزج

بين الثقافة النحوية المغربية والمشرقية ويعد

أكثر تنوعاً في المصادر والاستشهادات والأدلة القياسية والسماعية

فمن خلال دراستنا للكتابين يتضح لنا أن كتاب "ارتشاف الضرب" يمثل مرحلة أكثر نضجاً وتطوراً في فكر أبي حيان النحوي، حيث يجمع بين ثقافة المشرق والمغرب ويقدم منهجاً أكثر شمولية وتكاملاً في دراسة النحو العربي. بينما يبقى "منهج السالك" عملاً مهماً لكنه مقتصرا في شرح الألفية وبيان الخلافات النحوية. والكتابان معاً يعكسان تطور فكر أبي حيان ومنهجه في دراسة النحو واللغة.

إلا أن أهمية هذه المقارنة تكمن في إبراز تطور الفكر النحوي عند أبي حيان ومدى تأثره بالبيئات العلمية المختلفة التي عاش فيها، من الأندلس إلى المشرق، مما أتاح له تكوين رؤية نحوية موسوعية فريدة.

الكلمات المفتاحية: أبو حيان الأندلسي، منهج السالك، ارتشاف الضرب، ابن مالك.

The Method of the Traveler" and "The Sipping of the Stroke" by "Abu Hayyan al-Andalusi A Comparative Methodological Study

Assist: Duaa Nafi' Badri Kazim

Ministry of Education / General Directorate of Education in Babylon

Abstract:-

Abu Hayyan al-Andalusi (d. 745 AH) is one of the most prominent scholars of grammar and language in the Arab heritage, leaving behind a rich scholarly legacy that testifies to the breadth of his knowledge and the depth of his approach. Among his many works, "Manhaj al-Salik fi al-Kalam ala Alfiyyah Ibn Malik" and "Irtishaf al-Darb min Lisan al-Arab" stand out as two major works that reflect the development of his grammatical thought and his analytical approach. This study presents a comparison between the two books. In terms of objectives, methodology, content and characteristics.

The book "Manhaj al-Salik fi al-Kalam 'ala Alfiyyah Ibn Malik" is a commentary on Ibn Malik's Alfiyyah, one of the most important grammatical texts in the Arab heritage. In this book, Abu Hayyan aims to explain the Alfiyyah and clarify its grammatical issues, with a focus on the differences between the Basran and Kufic schools.

As for the book “Irtishaaf Al-Darb Min Lisan Al-Arab,” it is a comprehensive grammatical encyclopedia in which Abu Hayyan collected the sources and tributaries of grammar up to his time, presenting a broader and more comprehensive vision of Arabic grammar, with important methodological and linguistic additions.

- The book “Manhaj Al-Salik” relies on the objective presentation of grammatical opinions in many cases without preference, as the study found that Abu Khayan did not prefer many of the controversial issues that were addressed in his book (Manhaj Al-Salik), but rather was satisfied with presenting opinions. As for his other book “Irtishaf Al-Darb”, his opinion appears clear and more daring in preference and criticism, as he presents a unique method that blends the Moroccan and Eastern cultures. It also relies on comparison between Semitic languages to solve some linguistic problems.

Also, the approach of Al-Salik was focused mostly on the grammatical issues mentioned in Ibn Malik's Alfiyyah and his explanation of the verses of the Alfiyyah, with his attention to mentioning the disagreement between the two main grammatical schools and between individuals of one school. As for his book Irtishaaf Al-Darb, we see him go beyond grammar to broader fields that include morphology, language, and semantics. with his special interest in the diversity of grammarians' opinions, the preference for one group, and the other's inclusion. He also presented the views of grammarians throughout the ages in an extensive manner.

We should not forget that in his book, "The Way of the Traveler," he relies heavily on citations from the Holy Qur'an and classical Arabic poetry, but he pays little attention to the wisdom of the noble poets and their authors. From another section, we heard that his citations of the Prophetic hadith and proverbs are comparable to those of the Qur'an and poetry.

As for his book, Irtishāf al-Darb, he used the widest of chapters to cite more diverse sources, reflecting the breadth of his linguistic culture. Irtishāf al-Darb is also considered a comprehensive grammatical encyclopedia, as it blends Moroccan and Eastern grammatical culture and is more diverse in its sources, citations, and standard and auditory evidence.

Through our study of the two books, it becomes clear that "Irtishāf al-Darb" represents a more mature and developed phase in Abu Hayyan's grammarian thought, combining the cultures of the East and the West and presenting a more comprehensive and integrated approach to the study of Arabic grammar. Meanwhile, "Manhaj al-Salik" remains an important work, but it is limited in explaining the millennium and clarifying grammatical differences. Together, the two books reflect the development of Abu Hayyan's thought and his approach to the study of grammar and language.

However, the importance of this comparison lies in highlighting the development of Abu Hayyan's grammatical thought and the extent to which it was influenced by the various scientific environments in which he lived, from Andalusia to the Levant, which enabled him to form a unique encyclopedic grammatical vision.

Keywords:*Abu Hayyan al-Andalusi, The Way of the Traveler, Sipping the Beat, Ibn Malik..*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الخلقِ أجمعين نبينا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وبعد:

يُعدُّ أبو حيان من أشهر النحويين في عصره في بلاد الأندلس، فقد كان لغويًا، ومفسرًا للقرآن، ومقرئًا، ومحدثًا، وأديبًا، وصنف العديد من المصنفات في علوم شتى، فكان له ما يقارب سبعون مصنفًا حسب ما ذكر في بعض المصادر، فقد كان من أكثر علماء عصره حيوية ونشاطًا في الميادين النحوية واللغوية والأدبية والتفسير وغيرها.

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على منهجيته في كتابيه (منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك) و(ارتشاف الضرب من لسان العرب)، والموازنة بينهما، وقسم البحث على مقدمة وثلاث مباحث وخلاصة وخاتمة، جاء المبحث الأول بعنوان: أبو حيان وكتابيه منهج السالك وارتشاف الضرب، وقسم على محورين: أولًا: أبو حيان –نبذة عن حياته–، وثانيًا: نسخ كتابيه (منهج السالك وارتشاف الضرب) المعتمدة في البحث.

أما المبحث الثاني فكان بعنوان (كتاب منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، وكتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب دراسة منهجية موازنة)، وقد قسم على محورين:

أولًا: منهج أبي حيان في كتابه منهج السالك.

ثانيًا: منهج أبي حيان في كتابه ارتشاف الضرب.

وخصصت المبحث الثالث لأصول أبي حيان في كتابيه، وقد اعتمدنا في هذا المبحث على سبعة أصول:

١- ترجيحه للسماع عن العرب.

٢- استقراء المذهب الصحيح عن العرب.

٣- عدم ترجيحه القياس إذا لم يعضد بالسماع.

٤- عدم ترجيحه لتأويل الشيء لكثرة وروده.

٥- عدم ترجيحه للعلل النحوية، إذ إن العلل النحوية لا قيمة لها بجانب الوضعيات.

٦- عَدَّه الإعراب فرع للمعنى.

٧- اعتقاده أن الجنس البعيد يجعل بعض الحدود ناقصة

وخلص البحث إلى جملة نتائج معتمدة على جملة مصادر رجعنا إليها في كتابة البحث وقد اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج المقارن، والحمد لله أولا وآخرًا.

المبحث الأوّل

أبو حيان وكتابيه منهج السالك وارتشاف الضرب

اولا: أبو حيان

اسمه وكنيته:

هو أثير الدين المكنى بأبي حيان، وهو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأثري الغرناطي[١].

لقبه:

لُقب أبو حيان بألقاب عدة منها: الأندلسي، وهو نسبة إلى موطنه الأندلس[٢]. كما لُقب بالغرناطي نسبة إلى مدينة غرناطة، وهي مكان ولادته، التي تُعدُّ قاعدة بلاد الأندلس، فكانت ولادته في حي مطخشارش، وهو من أحياء غرناطة[٣]. ولُقّب أيضًا بالنفزي، نسبة إلى قبيلة نفزة من البربر[٤]. ويعود لقبه الجياني نسبة إلى مدينة جيان[٥].

ويُعد الإمام العلّامة حجَّة العرب، لُقب بالأندلسي الجيّاني الغرناطي، الشافعي ولد سنة أربع وخمسين وست مائة[٦].

ولادته ونشأته:

ولد أبو حيان في أواخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة[١] كان كثير الترحال في لب العلم فتنقل داخل بلاد الاندلس، وخارجها اذ رحل الى تونس ومصر ومكة وفارس وغيرها من البلدان[٢].

---

(١) يُنظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري التلمساني:٥٣٥/٢، وأعيان العصر وأعوان النصر: ٣٢٥/٥.

(٢) يُنظر: الرد الوافر، أبو بكر ناصر الدين:٦٢.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه:٦٣، وبغية الوعاة:٢٨٠/١.

(٤) يُنظر: طبقات المفسرين، الداوودي:٢٨٧/٢.

(٥) يُنظر: ارتشاف الضرب:٤/١.

(٦) يُنظر: المعجم المختص بالمحدثين، ٢٦٧، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأنصار، ابن قيماز الذهبي:٣٨٧، وغاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري:٢٨٥/٢، والتذييل والتكميل: ٥/١.

علومه:

كانت كتاباته في العربية في سن مبكرة من عمره، وقد وصفه الصفدي(ت:٧٦٤ه) قائلًا: ((كان أميرًا في النحو، والشمس السافرة شتاءً في يوم الصحو، والمتصرف في هذا العلم والاثبات فإليه الإثبات والمحو، ولو عاصر أئمة البصرة لبصرهم، وأهل الكوفة لكفّ عنهم أتباعهم الشواذ وحذرهم، نزل منه كتاب سيبويه في وطنه بعد أنْ كان طريدًا، وأصبح به التسهيل بعد تعقيده مفيدًا...))[٣].

يُعدُّ أبو حيان نحوي عصره، ولغويًا، ومفسّرًا للقرآن، ومحدثًا ومقرئًا، وأيضًا مؤرخًا وأديبًا، أخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع (ت:٧١٢ه)، وتتلمذ على يد أساتذة أجلاء أمثال أبي الحسن الأُبذي (ت:٦٨٠ه)، وأبي جعفر بن الزبير(ت:٧٠٨ه)، وابن أبي الأحوص(ت:٦٨٠هـ)، وابن الصائغ، وأبي جعفر اللبي، وبمصر عن البهاء بن النحّاس وجماعته[٤].

وأبو حيان كان متقدمًا في النحو، وقرأ في حياة شيوخه بالمغرب، سمع الحديث في الأندلس والإسكندرية، وأفريقيا، ومصر، والحجاز من نحو أربعمائة وخمسين شيخًا[٥].

وهو الإمام المطلق في علمي النحو والصرف، وأيضًا كان عارفًا بالتفسير والحديث، كذلك له معرفة في تراجم الناس، ومعرفة طبقاتهم وبالأخص المغاربة، وكان له دورٌ في تسهيل قراءة كتب ابن مالك للناس من شرحه لغوامضها[٦]. وقيل بأنه إمام النحويين في عصره شرقًا وغربًا فقد خدم العربية مدة تقارب الثمانين عامًا[٧].

شيوخه:

تلقى أبو حيان علومه على يد مجموعة كبيرة من العلماء نذكر منهم: أبو جعفر احمد بن الزبير الغرماطي (ت٧٠٨ه)، واحمد بن سعيد الغرناطي (ت٦٧٥ه) واحمد بن عبد العزيز الحراني، وأبو جعفر بن الطباع الرعيني الغرناطي (ت٦٨٠ه)، واحمد بن يوسف بن علي اللبلي (ت٦٩١ه)،

---

(١) يُنظر: ارتشاف الضرب:١/٤.

(٢) يُنظر: طبقات الشافعية: ٩/٢٧٨.

(٣) شذرات الذهب: ٦/١٤٥، وفوات الوفيات: ٥٥٦، ونفح الطيب: ٢/٥٣٨.

(٤) يُنظر: طبقات الشافعية، ابن قاضي شُـهبة:٣/٦٨، وبغيـة الوعـاة:١/٢٨٠، وطبقـات المفسـرين، الدوودي:٢/٢٨٧، ومعجم حفّاظ القرآن عبر التاريخ، محمد محمد:٢/١٣٨.

(٥) يُنظر: بغية الوعاة:١/٢٨٠.

(٦) يُنظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، العسقلاني:٦/٥٩.

(٧) يُنظر: المصدر نفسه:٦/٥٩.

وإسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي (ت٦٨١ه)، والحسن بن أبي الاحوص القرشي الغرناطي (ت٦٧٩هـ)، وغيرهم[١]

تلاميذه:

كانت لأبي حيان شهرة ومكانة علمية كبيرة كانت سببًا في إقبال التلاميذ عليه من كلّ بلد، فمن تلاميذه الذين تتلمذوا عليه، المرادي(ت٧٤٩ه)[٢]، وشهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد المعروف بالسمين الحلبي(ت:٧٥٦ه)، وابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام(ت:٧٦١ه)، وأيضًا محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم المعروف بـ(ناظر الجيش)(ت:٧٧٨ه)[٣]. وعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عقيل القرشي الهاشمي العقيلي الهمذاني، قاضي القضاة، بهاء الدين بن عقيل الشافعي توفي سنة (٧٦٩ه)[٤]، وكذلك العسقلاني عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن خليل بن إبراهيم المعروف بالعسقلاني المكي، المتوفى سنة(٧٧٧هـ)[٥]، وغيرهم الكثير ممن تتلمذوا عليه.

مؤلفاته:

كان لأبي حيان أثر بالغ في العربية، يتضح ذلك مما تركه من مؤلفات التي عبرت عن سعة علمه وكثرة اطلاعه على الكثير من العلوم في عصره، كونه لغويًا وأديبًا، ومفسرًا، ومقرئًا، فقد أغنى المكتبات العربية بالكثير من المصنفات ولا سيَّما في النحو، والتفسير، واللغة، والصرف، والقراءات، والفقه، وغيرها من العلوم[٦].

ومن أهمِّ مصنفاته هي[٧]:

١. اتحاف الأريب بما في القرآن من غريب.

٢. تفسير البحر المحيط.

(١) يُنظر: بغية الوعاة: ٢٨٠/١، وغاية النهاية: ٣٢/١، ٢٨٥/٢، والوافي بالوفيات: ٢٨٠/٥، ونفح الطيب: ٥٥٠/٢. وارتشاف الضرب: ٢٢/١-٢٦.

(٢) يُنظر: بغية الوعاة:٥١٧/١.

(٣) يُنظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح الحنبلي:٣٠٧/٨، ٣٢٩، ٤٤٦.

(٤) يُنظر: بغية الوعاة:٤٧/٢، ٤٨.

(٥) منهج السالك: ٥٩.

(٦) يُنظر: بغية الوعاة:٢٨١/١.

(٧) يُنظر: بغية الوعاة:٢٨١/١، وارتشاف الضرب: ٣١/١-٣٥.

٣. النهر الماد من البحر (وهو مختصر لكتاب البحر المحيط).

٤. منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك.

٥. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل.

٦. ارتشاف الضرب من لسان العرب (مختصر لكتاب التذييل والتكميل).

٧. تذكرة النحاة.

٨. تقريب المقرب في النحو.

٩. النكت الحسان في شرح غاية الإحسان.

١٠. تلويح التوضيح في النحو.

١١. تقريب النائي في قراءة الكسائي.

١٢. خلاصة البيان في علمي البديع والزمان.

١٣. الشذا في مسألة كذا.

١٤. شرح كتاب سيبويه.

١٥. إعراب القرآن (ذكره بروكلمان).

١٦. الإعلام بأركان الإسلام.

وغيرها من المصنفات التي بلغت سبعين مصنفًا[١].

وفاته:

توفي أبو حيان في القاهرة بعد العصر في الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة ودفن بتربة الصوفية[٢].

(١) يُنظر: ارتشاف الضرب: ١/٣٢-٣٥.

(٢) يُنظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:٢/٥٣٨.

ثانيا: نُسَخْ كتابيه(منهج السالك وارتشاف الضرب) المعتمدة في البحث:

نبدأ بالحديث عن كتابه منهج السالك إذ أن لكتاب منهج السالك نسخ عديدة حققها باحثون واتفقت جميع هذه النسخ في عنوان الكتاب (وهو منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك) إلا أننا اعتمدنا النسخة الأمريكية، وهي المطبوعة سنة ١٩٤٧م بتحقيق المستشرق سيدني جليزر؛ لأنها كانت الوحيدة الكاملة حيث كان فيها كل ما شرحه أبو حيان من الألفية وذلك من أول باب الكلمة والكلام إلى نهاية أفعل التفضيل وأول التوابع ، ومن المؤكد أن المستشرق المذكور وقف على مخطوطات للكتاب في بلاد الشرق والغرب فيها كل ما طبعه وأخرجه.

ومما يلحظ على هذه النسخة أنها خلت من أي تعليق أو هامش للمحقق أو لغيره إذ كانت غايته إخراج الكتاب وتحقيق نصه لينتفع به الباحثون بقطع النظر عن التعليقات إلا في تخريجه للآيات القرآنية بذكر السورة والآية وكان ذلك في أصل الكتاب. كما ذيل المحقق الكتاب بفهارس مختلفة للآيات القرآنية، و للأعلام، ولأسماء الكتب، وللقبائل، وللأشعار والأرجاز، وقد عرض الأخير بترتيب غير معهود إذ إنه أورد الأبيات اعتمادا على الحرف الأول من الصدر وليس القافية، وعمد إلى وضع خطوط فوق أبيات الألفية ليميزها عن غيرها من الشعر، أو للإشارة إلى موضوع جديد في الشرح ، فضلًا عن وضعه خطًا بارزًا فوق ما ظنه كلامًا جديدًا وحديثًا لا علاقة له بما قبله وهذا مما يحمد له.

وقد تبين لنا أن المحقق سيدني جليزر لم يلتزم بوضعه للباب الجديد في بداية صفحة جديدة، أو ذكر الموضوع الجديد في أول السطر، وإنما ذكر النص دون اعتبار لما سوى ذلك، وقد بلغت صفحات هذه النسخة أربعمائة وخمس عشرة صفحة، والظاهر أنها قد طبعت على ورق من الحجم كبير؛ لذلك فإننا نجد في الصفحة الواحدة أربعة وثلاثون سطرًا في كل سطر خمس عشرة كلمة.

وعند قراءتنا لهذه النسخة وجدنا الكثير من الأخطاء المطبعية التي كانت تقابلنا أثناء التحقيق، وتتميز النسخة المطبوعة بجودة خطها وإن كان صغيرًا، وقد اشتملت جميع ما شرحه أبو حيان من الألفية وهو ما يبدأ من أولها حتى نهاية أفعل التفضيل وأول التوابع، حيث وقف المحقق على نسخة فيها المقدار كله.

أما كتابه ارتشاف الضرب من لسان العرب فقد كان أكثر وضوحًا وتفصيلًا من كتابه منهج السالك، فالنسخة التي اعتمدناها في بحثنا هذا هي بتحقيق الدكتور رجب عثمان محمد، والدكتور رمضان عبد التواب، طبعة مكتبة الخانجي سنة ١٩٩٨م،وهذه النسخة تقع في خمسة أجزاء محققة.

ومما لاحظناه من تتبعنا لمنهج أبي حيان في كتابيه (منهج السالك، وارتشاف الضرب) أنه كان مبتعدًا كل البعد عن التكلف فهو لا يخرج عن مذهب الجمهور، وهو المنهج المتفق عليه، فقد اتبع الأخذ بالمسموع وما ثبت من كلام العرب شعرًا ونثرًا، وكان في جميع مسائل كتابيه معتمدًا على أصل التقعيد النحوي.

المبحث الثاني

كتاب منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك وارتشاف الضرب من لسان العرب دراسة منهجية موازنة

اولاً: منهج أبي حيان في كتابه منهج السالك:

قسم أبو حيان هذا الكتاب إلى جزءين، يبدأ الأول (الكلام وما يتألف منه) وينتهي بالتمييز، والثاني يبدأ من حروف الجر وينتهي بـ(أفعل التفضيل)، وكان أبو حيان يسرد صفحات طويلة في ذكر الرأيين وأعلام كل رأي، وحجة كل فريق، فاختار مذهب المبرد (ت٢٨٥ه)والمازني (ت: ٢٤٧ه) والكسائي (ت: ١٨٩ه) وابن مالك (ت٦٧٢ه)، وعلى الفريق الثاني ثم رد عليهم بحججه العقلية بما توفر لديه من السماع وقد ذكر العديد من الشواهد التي تدل على جواز تقديم التمييز يقول في نقل طويل مختصر ذكره في شرح الألفية إذ يقول: ((فأنت ترى هذه التعاليل كلها لمن منع التقديم وهي معارضة للسماع، والتعليل إنما ينبغي أن يسلك بعد تقرير السماع، ولا ينبغي أن يعول منه إلا على ما كان من لسان العرب، واستعمالاتها تشهد له وتومئ إليه، ولقد كان بعض شيوخنا من أهل المغرب يقول: إياكم وتعاليل الرماني (ت٣٨٤ه) والوراق (ت:٣٨١ه) ونظرائهما وكثيرًا ما شحنت الكتب بالأقيسة الشبيبة والعلل القاصرة وهي التي لا يعجز عن إبداء مثلها من له أدنى نظر في الحالة الراهنة ولا يحتاج في ذلك إلى إمعان فكر ولا إكداد بصيرة ولا حث قريحة... وعلم العربية إنما هو من باب الوضعيات العربية ففي الحقيقة لا يحتاج فيه إلى تعليل كما لا يحتاج في علم اللغة إلى تعليل فلا يقال لم جاء هذا التركيب في قولك زيد قائم هكذا؟ كما لا يقال لم يقال

للعين الطرف ولليل الليل؟ ولا يقال لم كانت حروف المضارعة الهمزة والتاء والنون والياء؟ ونبدي لذلك عللا...))[1].

ثم ختم بقوله: ((...والنحويون مولعون بكثرة التعليل ولو كانوا يضعون مكان التعاليل أحكامًا نحوية مسندة للسماع الصحيح لكان أحدى وأنفع وكثيرًا ما نطالع أوراقًا في تعليل الحكم الواحد ومعارضات ومناقشات، ورد بعضهم على بعض في ذلك، وتنقيحات على زعمهم في الحدود خصوصًا ما صنفه متأخرو المشارقة على مقدمة ابن الحاجب، فنسأم من ذلك ولا يحصل في أيدينا شيء من العلم، ولقد اطلعت على جملة من الألسن كلسان الترك ولسان الفرس ولسان الحبش وغيرهم وصنفت فيها كتبًا في لغاتها ونحوها وتصريفها واستفدت منها غرائب، وعلمت باستقرائها أن الأحكام التي اشتملت عليها لا تحتاج إلى تعليل أصلا وأن كل تركيب كلي يحتاج فيه إلى نص من السماع، وأنها لا يدخلها شيء من الأقيسة، وإنما يقال من ذلك ما قاله أهل ذلك اللسان، ولم أر أحدًا من المتقدمين أقدم على إطراح هذه التعاليل إلا قاضي الجماعة الإمام أبا جعفر أحمد بن مضاء صاحب كتاب المشرق في النحو فإنه طعن على المعللين بالعلل السخيفة وزرى عليهم ما شحنوا به كتبهم من ذلك، وقد امتعض من طعنه على النحويين وإزرائه عليهم الإمام أبو الحسن بن خروف ورد على ابن مضاء في كتاب سماه: كتاب الزهو في الرد على من نسب السهو إلى أئمة النحو وهو كتاب لطيف، وكان ابن مضاء من مقرئي كتاب سيبويه والمعتنين بطريقته وهو كان من آخر من ختمت به المائة السادسة من علماء هذه الملة رحمه الله))[2].

ففي هذا النقل الطويل أشار أبو حيان في شرح التسهيل أسبقية تأليف شرح الألفية ثم وليه شرح التسهيل ثم ارتشاف الضرب.

إلا أن أبا حيان صراحة في مقدمة الارتشاف فقال: ((ولما كان كتابي المسمى بالتذييل والتكميل في شرح التسهيل قد جمع من هذا العلم ما لا يوجد في كتاب، وفرع بما حفزه تأليف الأصحاب، رأيت أن أجرد أحكامه عارية إلا في النادر من الاستدلال والتعليل، حاوية السلامة اللفظ وبيان التمثيل، إذ كان الحكم إذا برز في صورة المثال، أغنى الناظر عن التطلب والتسأل، ونفضت عليه بقية كتبي لأستدرك ما أغفلته من فوائد، وليكون هذا المجرد مختصًا عن ذلك بزوائد، وقربت ما كان منه قاصيًا، وذللت ما كان عاصيًا، حتى صارت معانيه تدرك بلمح البصر ولا تحتاج إلى إعمال فكر وإكداد نظر، وحضرته في جملتين: الأولى: في أحكام الكلم قبل التركيب، والثانية: في أحكامها حالة التركيب، وربما انجر بعض من أحكام هذه أحكام الأخرى لضرورة التصنيف وتناسب التأليف و

(1) كتاب منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك لأبي حيان: ٢٢٩-٢٣٠.

(2) كتاب منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك لأبي حيان: ٢٣٠-٢٣١.

قصدت بذلك - يعلم الله - تسهيل ما عسر إدراكه على الطلاب، ولما كمل هذا الكتاب وخلت مبانيه من التشبيح الاضطراب والتعقيد وحلت معانيه للمفيد والمستفيد سميته ارتشاف الضرب من لسان العرب، ومن الله أستمد الإعانة وأستعد من إحسانه الصوب المقال والإبانة))[1].

ويتضح مما تقدم اعترافًا صريحًا لأبي حيان بسبق تأليفه كتابه التذييل والتكميل، فضلًا عن وجود أدلة أخرى وهي أنه كان يحيل على التذييل والتكميل في بعض المسائل. ومن هذه المواضع ما جاء في كتابه ارتشاف الضرب في باب المبتدأ والخبر ((وكلام ابن مالك في حكم الضمير العائد رابطا على المبتدأ منقود من تسعة أوجه يوقف عليها في الشرح))[2]، وهذا دليل على أسبقية التذييل والتكميل لارتشاف الضرب.

مما تقدم تبين لنا أن ارتشاف الضرب كان آخر ما ألف أبو حيان من كتب النحو المطولة.

والظاهر إنَّ كتاب منهج السالك كان أسبق كتب أبي حيان في التأليف إذ أشار إلى منهج السالك في جل كتبه ومنها البحر المحيط في التفسير إذ جاء في إعراب (ويل) من قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ) ﴿البقرة: ٧٩﴾، وأنه مبتدأ وإن كان نكرة يقول: وهو نكرة فيها معنى الدعاء فلذلك جاز الابتداء بها إذ الدعاء أحد المسوغات الجواز الابتداء بالنكرة وهي تقارب ثلاثين مسوغًا وذكرناها في كتاب منهج السالك من تأليفنا[3].

إن شرح الألفية كان له تأثير في كتب أبي حيان كالتذييل وارتشاف الضرب والبحر المحيط إذ أحال أبو حيان كثيرًا من المسائل وترك بعض البحوث في كتبه اتكالًا على أنه عرضها وتحدث عنها في كتابه منهج السالك.

وليكن تأثير منهج السالك في كتب النحو التي جاءت بعده تأثيرًا ضئيلًا وذلك بسبب قلة نسخ هذا الكتاب في أيدي العلماء وطغيان التذييل والتكميل على كتب أبي حيان الأخرى.

وعند قراءتنا لمؤلفات أبي حيان نجد أنه قد أكمل بعضها وأن بعضها الآخر لم يكمله، وذلك مما لا عجب فيه، فربما نوى الإنسان عمل شيء فينشغل بغيره، أو وحال الأجل دونه، وهذا هو السبب الأصلي في عدم إكمال العلماء تأليف بعض الكتب وبخاصة الطويلة منها كالتفاسير وغيرها وهو انقضاء الأجل، وتبين ذلك في قراءة كتاب شرح الألفية لأبي حيان - مع قيمته وفائدته العلمية - لم

(١) ارتشاف الضرب: ١/٣-٤.
(٢) ارتشاف الضرب: ٣/١١٢٠.
(٣) البحر المحيط: ١/٤٤٦.

يكمله أبو حيان بل شرح ما يعادل نصف الألفية وهو خمسمائة بيت منها إلى آخر باب أفعل التفصيل وأول باب التوابع حسب ما لاحظناه مما ذكر من ابوب وموضوعات.

وقد جاء في نفح الطيب أن أبا حيان كتب ردًا على رسالة بعث بها إليه خليل بن أيبك الصفدي فكان مما جاء فيها ((فأما ما صنفته فمن ذلك البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، وكتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل وكتاب التنخيل الملخص من شرح التسهيل ارتشاف الضرب وكتاب التذكرة وكتاب التدريب والتقريب والنكت الحسان وفي آخر سرد تلك المؤلفات قال: ومما لم يكمل تصنيفه كتاب منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، ونهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب، ثم ختم رده بقوله: قاله وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف، وعلى ذلك فاعتراف أبي حيان وإجماع نسخ الكتاب على نقصه يدل على أن أبا حيان لم يكمل شرحه للألفية كما أكمل بقية كتبه))[1]، وهذا الاعتراف من أبي حيان هو دليل قاطع على نقص الكتاب.

الا أن أبا حيان كان ينوي تكملة شرح الألفية كلها والدليل على ذلك حديثه في باب الإضافة عن (كلا وكلتا) قائلًا: ((والكلام على كلا وكلنا مستوفي يأتي إن شاء الله في باب التوكيد لأن المصنف لم يتعرض هنا إلا إلى الإضافة فتكلمنا على ذلك فقط))[2].

وذكر أيضًا في باب الإضافة أنواع (أي) وأن منها ما يكون وصلة للنداء، مثل: يا أيها الرجل، ثم ذكر رأي الأخفش بأنها في النداء تكون موصولة بمعنى من جاء وذلك قوله: ((وسيأتي قول الأخفش فيها أنها في هذه الحالة موصولة وأن التقدير يا من هو الرجل، قال: وهو قول فاسد لما سنبينه في باب النداء إن شاء الله)) [3]. غير أن أبا حيان لم يصل إلى باب التوكيد ولا النداء في شرحه.

كان شرح الألفية لأبي حيان على غير مثال سابق فمن سبقه كان شرحه مختصراً أما أبو حيان فكان شرحه مبسوط بكل معلوماته في النحو إذ أودعه كل ما يعرف عن هذا العلم، فجاء مفصلًا مطولًا، غير أنه يعلن كثيرًا بأنه شرح مختصر، ونفهم من هذا أن المختصر عند أبي حيان مطول عند غيره.

وخير دليل على ذلك ما جاء في حديثه عن مسوغات الابتداء بالنكرة فنجد أنه قد ذكر عشرين موضعًا ثم عقب بقوله: ((ولولا العرض في هذا الكتاب الاختصار الا وضحت رجوع كل واحد من هذه المسوغات إلى أحد هذين الموضعين اللذين هما التخصيص والتعميم))[4].

(١) ينظر: نفح الطيب: ٢/٥٥٢-٥٥٣.

(٢) منهج السالك: ٢٩٠.

(٣) المصدر نفسه: ٢٩٣.

(٤) المصدر نفسه: ٤٥.

وأما الأبواب التي شرحها أبو حيان من الألفية فقد اشتملت على خمسمائة بيت، وهو عدد كبير إذا ما قورن بشواهد شروح أخرى الذي اشتمل الواحد منها على نصف ما شرحه أبو حيان في جميع أبواب النحو والصرف من الألفية، وأن أبا حيان كان في بعض الأحيان يستشهد على المسألة الواحدة ﴿اكثر من بيت واحد ومنها ما يصل إلى سبعة أبيات ومن ذلك مسألة وقوع سوى متأثرة بالعوامل في باب الاستثناء، وفي الفصل بالمفعولين بين المصدر والفاعل وفي تقديم من ومحرورها على أفعل التفضيل في باب اسم التفضيل وغير ذلك.

ومما يلاحظ أيضًا احتواء شرح الألفية لأبي حيان على ذكر الكثير من الأعلام المشهورين وغير مشهورين على اختلاف نسبتهم ومذاهبهم فمنهم من هو بغدادي ومنهم من هو أندلسي ومنهم من هو مصري ومنهم من هو شامي، أما المشهورون فهو أمر يشترك فيه جميع شراح الألفية وأما غير المشهورين فقد تفرد أبو حيان في ذلك في كتبه.

بالرغم من أن كتاب منهج السالك كان مختصراً موجزًا، إلا أن مؤلفه ينقل عن كتب مختلفة وقد اعتمد على آراء كثير من النحويين، ومن المصنفات التي اعتمد عليها: كتاب سيبويه، وكتب ابن مالك، والبغداديات، والتذكرة، والشيرازيات، والحلبيات، والإيضاح، وشرح الأبيات لأبي علي الفارسي، والمنصف، وسر الصناعة لابن جني، والإفصاح لابن هشام الخضراوي، والكامل، والمدخل، والمقتضب للمبرد، والمقرب، وشرح الجمل الصغير لأبي الحسن بن عصفور، وشرح المعلقات السبع لأبي جعفر النحاس، والإنصاف لابن الأنباري، والأوسط، والمسائل الكبيرة للأخفش، والمغرب للمطرزي، والنكت على الإيضاح للجلولي، وأغاليط الزمخشري، ومقدمة ابن الحاجب، وشجر الدر لأبي الطيب اللغوي، والنوادر لأبي على القالي، وشرح الموجز للرماني وغيرها .

وعندما قرأنا كتابه وجدنا أنه ينقل آراء النحويين على اختلاف اتجاهاتهم كالبصريين والكوفيين والمغاربة والأندلسيين كأبي الحسن بن الأخضر، وأبي عبد الله بن أبي العافية، ومصعب بن أبي بكر الخشني ، وأيضًا ينقل عن شيوخه كأبي عبد الله بن النحاس الحلبي وأبي الحسن بن الباذش وأبي الحسن بن الضائع.

وتبيّن لنا من قراءة منهج السالك أن أبا حيان لم يقف عند نقل هذه الآراء والمذاهب النحوية المختلفة فحسب، وإنما ردَّ على بعضهم وفند آراءهم، وقد يقسو أحيانًا في الرد والمناقشة كما فعل مع ابن عصفور والزجاج والفارسي وغيرهم[1].

(1) ينظر: منهج السالك: ٨٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ٢١٥، ٢٢٨، ٢٢٩، وغير الكثير من المواضع.

وكان نقله أيضًا من كتب لعل بعضها مفقود، كالنوادر ليونس بن حبيب والهجري واللحياني. ونقل من كتب لابن اصبغ لم نعرفها مثل تقييد رؤوس المسائل، ومسائل الخلاف. ونقل من هذه الكتب ولم نعرف إلا أصحابها مثل الإفصاح لابن هشام الخضراوي والمشرق في النحو لابن مضاء، والترشيح خطاب الماردي، و التعاليق لابن البادش، واللمع للمهابادي، والموجز للرماني، والبغال للجاحظ.

فضلا عن نقله من كتبه وهي مفقودة أيضًا، كقوله في مسوغات الابتداء بالنكرة: ((وقد ذكرت جملة من هذه المسوغات في أرجوزتي المسماة بنهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب ثم ذكرت أن جميعها راجع إلى مسوغين فقلت:

وَكُلُّ مَا ذَكَرْتُ فِي التَّقْسِيمِ ... يرْجِعُ للتخصيص والتعميم))[1]

والأرجوزة المذكورة لم تصلنا ولم أقف عليها وغيرها من المواضع في كتابه.

وفي باب الصفة المشبهة والأوجه الجائزة وغير الجائزة في معمولها يقول: ((وقد نظمت هذا المعنى في أرجوزتي الطويلة المسماة بنهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب فقلت مشيرا إلى الصفة والمعمول.

عَرَّفْهُمَا أَوْ تَكْرِنْ أَوْ عَرَّفَنْ ... الْوَصْفَ أَوْ مَعْمُولَهُ وَلْتَعْرِفَنْ

مَعْمُولَهُ بِصَمَّةٍ وَكَسْرَةِ ... وَفَتْحَهُ تَبْلُعُ فَمَانَ عَشْرَةِ
يَقْبَحُ مَا حَذَفْتِ مِنْهُ الْمُضْمَرَا ... أَوْ كَانَ فِيهِ مُضْمَرٌ تَكَرَّرَا
وَنَحْوِ دَاجِي شَعْرِهِ قَدْ وَرَدَا ... فِي الشَّعْرِ فَاقْبَلْ وَدَعِ الْمُبَرَّدَا
وَنَصْبُ شَعْرِهِ دَلِيلُ الْجَرِّ ... وَالنَّصْبُ فِي النَّثْرِ أَتَى وَالشِّعْرِ
وَيُمْنَعُ اثْنَانِ كَهُمْ بِالْحَسَنِ ... عَذَارُهُ لَا بِالْقَبِيحِ ذَقَنِ))[2]

والأرجوزة المذكورة لم نرها، وقد ذكر هو أنه لم يتمها.

(1) منهج السالك: ٤٥.

(2) المصدر نفسه: ٣٦١.

وأيضًا أن أبا حيان جاء بمعلومات كثيرة في كتابه منهج السالك مما يجعل لكتابه قيمة أخرى فوق التنظيم والترتيب اللذين اتسم بهما في الكتابة والتصنيف والخوف والحذر في الشرح والتأليف.

ومما يؤيد كلامنا هذا ما ذكره أبو حيان في باب حروف الجر وهي ورود الهمزة والباء في التعدية في مثل قوله تعالى: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ) ﴿الاحقاف:٢٠﴾، وقوله: (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) ﴿البقرة:١٧﴾، وأنه لا يجمع بينهما؛ لأن أحدهما يغني عن الآخر[١]، ثم ذكر أبو حيان مسألة تتعلق هذا الموضع في كتابه منهج السالك و لم يذكرها في الارتشاف إذ ذكر: زعم المبرد والسهيلي من أصحابنا ألهما (الهمزة والباء) يفترقان في المعنى فإذا قلت أقمت زيداً كنت قد جعلته يقوم، ولم يدل ذلك على أنك قمت، وإذا قلت: قمت بزيد كنت قد جعلته يقوم وقمت أنت، فما بعد الباء يشرك الفاعل في الحكم. فردَّ أبو حيان على ذلك الرأي قائلًا: ((ومذهبه فاسد لأنه التبست عليه باء الحال بناء التعدية، فإذا أردت في قولك: قمت يزيد أن الفاعل مشارك لما بعد الباء في الحكم كانت إذ ذاك الباء للحال، وإذا أردت أنك غير مشارك كانت الباء للتعدية، وقال أيضًا: والدليل على بطلان مذهبه أن الباء قد استعملت حيث لا تمكن المشاركة، قال تعالى: (ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ) أي أذهب الله نورهم، والله تعالى لا يوصف بالذهاب))[٢]. إلا أن هذه المسألة لم نجدها في كتابه ارتشاف الضرب. ومن تمعننا لكتاب منهج السالك وجدنا أن هذا الكتاب مليء بمثل هذه المسائل التي انفرد بها.

ثانياً: منهج أبي حيان في كتابه ارتشاف الضرب

إن أول ما بدأ كتابه ارتشاف الضرب بالحديث عن الحروف وعددها ومخارجها وصفاتها مع ذكر آراء النحاة في الموضوع من أمثال الخليل (ت١٧٠ه) وسيبويه (ت١٨٠ه) والفراء(ت٢٠٧ه) والجرمي(ت٢٢٥ه) والمبرد (ت٢٨٥ه) والزجاج (ت:٣١١ه) والفارسي (ت٣٧٧ه) وابن جني (ت٣٩٢ه) وغيرهم. وذكر أبنية الأسماء والأفعال، وقد تفرَّد في جمع ما يزيد على ألف بناء، وهو في ذلك قد فاق الذين ألفوا في هذا الميدان من أمثال ابن القطاع صاحب أبنية الأسماء والأفعال، والزبيدى صاحب الاستدراك، إذ إنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه من الجمع والترتيب والاستقصاء والحصر، فأبو حيان لم يترك شاردة ولا واردة في الأبنية إلا وتحدث عنها، فضلًا عن إشارته إلى اللغات المختلفة في الكلمة الواحدة، ومن ذلك قوله في حديثه عن زيادة النون: ((أو ثالثة متحركة

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٧.

(٢) ينظر: منهج السالك: ٢٤٧.

فزيدت في فرناس وبضم الفاء))[1]، وقوله أيضًا: ((ونون نرجس بفتحها أو كسرها عندي أصلية))[2]، وغيرها.

ولم يكن جهد أبي حيان مقتصرًا على الجمع والنقل فحسب، بل إنه كان يتحدث بإفاضة عن الزائد والأصلي في الكلمة الواحدة مع مناقشته لآراء العلماء الذين سبقوه وتحليل كلامهم، وترجيحه لبعض آرائهم مع ذكر موقفه، إذ إنه يتناول بنية الكلمة من ناحية الاشتقاق والوزن وورودها في اللغة واستعمالها؛ وذلك يدل على سعة ثقافته وطول باعه في هذه القضايا ومن ذلك قوله: ((وشيراز عند أبي الحسن ياؤه بدل من واو وهي أصل وزنه فعلال وعند غيره (فعال) أصله (شيراز)...))[3].

وفي مسألة أخرى تحدث عن زيادة الميم قائلًا: ((ودملص على مذهب الخليل، وزعم أبو الحسن والمازني أن ميمهن أصلية، وقمارص، قال الفارسي: من القرص.. وهرماس في قول الأصمعي ولم يذكر سيبويه هر ماسا ولا قمارصا في زيادة الميم))[4].

كان أبو حيان كثير الاهتمام بذكر كتب العلماء والمصادر التي استقى منهم مادة كتابه، فضلًا عن إيراده كتابه مادة علمية غزيرة من كتب مفقودة لم تصل إلينا مثل كتاب البسيط لمحمد بن ضياء الدين بن العلج، والإفصاح لابن هشام الخضراوى (ت٦٤٦ه)، وكتاب الفرخ للجرمى، وكتاب الأوسط للأخفش(ت٢١٥ه)، وغير ذلك كثير.

ومن الملاحظ من قراءتنا لارتشاف الضرب أن أبا حيان يقوم منهجه في الارتشاف على براعة التبويب والتفصيل والتقسيم فهو عندما يتحدث في باب من أبواب النحو يبدأ بالتعريف به أولا ثم يدخل في الموضوع، ويقسمه إلى فصول وقضايا جزئية ثم يستوفى ما قيل في تلك الفروع من كل صغيرة وكبيرة في الموضوع ثم يتناول حديث النحاة ويقسمه إلى مذاهب، ويبين وجهة نظر كل مذهب مع نسبة الآراء إلى أصحابها.

وتبين لنا أن أبا حيان تناول آراء من سبقه من العلماء من أمثال سيبويه والأخفش والمبرد وابن السراج والفارسي وابن جني وابن الدهان (ت٥٦٩ه) وابن عصفور (ت٦٦٩ه) وكذلك الذين عاصروه من أمثال ابن مالك وشيوخه وغيرهم بالنقد والتحليل والمناقشة والترجيح والموازنة، فأبو

(١) الارتشاف: ٢٠٦/١.
(٢) المصدر نفسه: ٢٠٣/١.
(٣) المصدر نفسه: ٢٢٠/١-٢٢١.
(٤) المصدر نفسه: ١٩٨/١.

حيان له فكره المتميز وعقله الثاقب واجتهاده في كثير من القضايا الصرفية والنحوية وأدلته في ذلك السماع والقياس وما ورد من شواهد عن العرب.

وقد اتبع في منهجه في الارتشاف الاستيعاب التام لآراء ومذاهب النحاة في قضية واحدة أو جزئية من الجزئيات، وهذا يدل على الإحاطة والشمول التي تميز بها هذا العالم الفذ ومن ذلك قوله في تقديم خبر (ليس): ((وأما تقديم خبر ليس عليها، فذهب جمهور الكوفيين والمبرد والزجاج وابن السراج والسيرافي وأبو علي في الحلبيات وابن عبد الوارث والجرجاني والسهيلي وأكثر المتأخرين إلى أنه لا يجوز، وذهب قدماء البصريين والفراء وأبو علي في المشهور عنه وابن برهان والزمخشري والأستاذ أبو علي إلى جواز ذلك واختاره ابن عصفور، وروى أيضا عن السيرافي واختلف في ذلك عن سيبويه، فنسب الجواز والمنع إليه، وقال ابن جني في الخصائص

عن المبرد خالف في ذلك البصريين والكوفيين))[1].

والملاحظ في كتاب ارتشاف الضرب أبا حيان كان يكثر من الشواهد القرآنية مع ذكر الوجوه الإعرابية والقراءات المختلفة في الآيات، والأشعار والرجز، والأمثال، والنقول، ولغات القبائل العربية المختلفة وغير ذلك. فضلًا عن عرضه خلافات النحاة في المسائل الجزئية والعلل والافتراضات والجدل غير المجدي، ويرد هذا الجدل لأنه لا ينبني عليه حكم، فكان أبو حيان ضد الخلاف الذي ليس وراءه فائدة. وكان أيضًا كثير الاهتمام بذكر الخلافات بين النحويين، ومن ذلك الخلاف بين سيبويه والأخفش، وسيبويه والمبرد وابن السراج(ت٣١٦ه)، فضلًا عن إبراز الخلافات بين البصريين والكوفيين وحجج كل فريق منهم في تناول القضايا النحوية والصرفية.

وكان يكثر من العبارات في ردوده مثل: ((هذا ليس بين))[2]، وعبارة أخرى: ((نص الأئمة على منعه))[3].

(١) يُنظر: الارتشاف: ١/١١٧١-١١٧٢.

(٢) الارتشاف: ٣/١٦٠٧.

(٣) منهج السالك: ٨٠.

المبحث الثالث:

أصول أبي حيان النحوية في كتابيه

اتخذ أبو حيان منهجًا صحيحًا في أصول علم النحو في تأليفه لكتبه، فكانت عنايته بالسماع على اختلاف أنواعه عناية كبيرة سواء إن كانت نصوص قرآنية أو أحاديث نبوية أو شعر، فكان يبني قاعدته على الشواهد، فإذا لم تعضد بها فهي جوفاء لا قيمة لها.

كذلك من أصوله النحوية أيضًا الإجماع، فهو يسرد المذهب ولقائلين به ذاكرًا الرأي مع ذكره الذين نادوا به وذهبوا إليه. وأما القياس عنده فيأتي آخرًا فإن صادف سماعًا فلا مانع من الأخذ به، وهو مردود إذا كان غير ذلك.

وعن طريق استقراءنا لكتاب منهج السالك وقفنا على عدة أصول نحوية منها:

١- ترجيحه للسماع عن العرب.

ذكر أبو حيان في مواضع مختلفة من كتابه لفظ السماع فمنها قوله في باب (إن): ((وحكى الأخفش والكسائي عن العرب إنما زيدًا قائم بإعمال إن مع إلحاق ما))[١]. وفي باب الفاعل يقول: ((وما ذكره الكوفيون من جواز تقديم العامل على اسم الاستفهام في الاستثبات لا يعرفه البصريون، وقد سمع من لسان العرب كان ماذا بتقديم العامل على اسم الاستفهام))[٢].

وفي باب الأفعال المتعدية إلى ثلاثة وهي أرى وأخواتها يقول: ((والدليل على أن هذه الأفعال متعدية إلى ثلاثة السماع، ولولا السماع لما أثبتنا ذلك؛ لأنه من باب التضمين والتضمين لا يقال بقياس))[٣]. وكان ذكره لهذا القول في كتابه منهج السالك وارتشاف الضرب.

أما في مسألة تقديم التمييز على الفعل المتصرف (نفسًا طاب زيد) وجواز ذلك لورود السماع الكثير منه، وأن رأي القائلين بمنعه بحجة أنه فاعل في الأصل وأنه لم يرد كثيرًا غير صحيح بقوله: ((إن ابن عصفور زعم أن ذلك لم يجئ إلا في بيت واحد من الشعر وهذا لا حجة فيه لأنه قد يتقدم في الشعر ما لا يجوز تقديمه في الكلام، ... وذلك منه عدم الاطلاع على أشعار العرب وتقليد لبعض من تقدم بل قد جاء من ذلك جملة تبنى على مثلها القواعد))[٤]، ثم ذكر عدة شواهد في ذلك.

(١) منهج السالك: ٨٠، وينظر: ارتشاف الضرب: ١٦٤٢/٤.
(٢) منهج السالك: ١٠٦. وينظر: ارتشاف الضرب: ١٣٢٢/٣-١٣٢٣.
(٣) منهج السالك: ١٠١. وينظر: ارتشاف الضرب: ٢١٣٣/٤-٢١٣٤.
(٤) منهج السالك: ٢٢٨. ارتشاف الضرب: ١٦٣٥/٤-١٦٣٦.

وذكر المسألة نفسها في كتابه منهج السالك بقوله: ((وتعليل من منع ذلك: فأنت ترى هذه التعاليل كلها لمن منع التقديم وهي معارضة للسماع، والتعليل إنما ينبغي أن يسلك بعد تقرر السماع، ولا ينبغي أن يعول منه إلا على ما كان من لسان العرب واستعمالاتها تشهد له وتومئ إليه))[1].

٢- استقراءه المذهب الصحيح عن العرب

فقد ذكر أبو حيان نصب (ميلًا) و(فرسخًا) على الظرف، وهو مذهب النحويين ومنهم السهيلي الذي ينصبهما على المصدر إذ قال: ((إن الميل والفرسخ عبارة عن هذه الأعداد من الخطى فليس كذلك، بل هي عبارة عن هذه المسافة التي تقع فيها الخطى المذكورة، هكذا فهم المستقرءون اللغة عن العرب وهكذا أورده المتقدمون في كتبهم))[2]. ووضح تلك المسألة مفصلًا في كتابه ارتشاف الضرب[3].

٣- عدم ترجيحه القياس إذا لم يعضد بالسماع

ففي الارتشاف فإنه كان يأخذ بالسماع، والقياس ولكن بضوابط معينة، فعند حديثه عن الأبنية ((ولا يبعد في الصفات إذا جمع زُرق، فالقياس زرارق))[4]، وقوله أيضًا: ((وفعايل: عشاير، وقد يجيء صفة بالقياس في جمع طريم))[5]. وردّ على ابن مالك بالقياس بقوله: ((وزعم ابن مالك أنه يحفظ ذلك في فيعل وفيعلة نحو: سيد وسيدة وليس كما زعم بل هو مقيس في ذوات الواو قولا واحدا مختلف فيه في ذوات الياء))[6]، وفي باب جموع الكثرة نجده يذكر رأي المبرد في القياس بقوله: ((وقاس المبرد فعلًا في جمع فعل المؤنث بغير تاء نحو: هند وهند، كما قاس في (فعل) فعلًا، والصحيح أن جاء قصرهما على السماع))[7].

أما أنواع (أي) فقد تحدث أبو حيان عنها بذكره لرأي الأخفش في جواز مجيئها نكرة موصوفة قياسًا على (من) و (ما)، ثم بين فساده إذ قال: ((وأما ما ذهب إليه الأخفش من أن (أيا) تكون نكرة موصوفة كما كانت (من) في نحو: مررت بمن معجب لك فأجاز أن تقول: مررت بأي معجب لك فقيل إنما أجاز ذلك بالقياس على من وما وليس مسموعًا عن العرب، ويكفي من الرد عليه أنه

(١) منهج السالك: ٢٢١.
(٢) المصدر نفسه: ١٥٠.
(٣) ارتشاف الضرب: ١٤٣٠/٣.
(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ٧١/١.
(٥) يُنظر: المصدر نفسه: ٧٨/١.
(٦) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٤٥/١.
(٧) يُنظر: ارتشاف الضرب: ٤٣٠/١.

إحداث تركيب لم ينقل عن العرب))[1].

٤- عدم ترجيحه لتأويل الشيء لكثرة وروده

ومن ذلك ما ذكره في مسألة وقوع الفعل الماضي حالًا دون (قد)، كما في قوله: كما انتفض العصفور بلله القطر، بقوله: ((والصحيح جواز ذلك بكثرة ما ورد منه بغير قد وتأويل الشيء الكثير ضعيف جداً لأنا إنما نبني المقاييس العربية على وجود الكثرة))[2]. وفصل القول أيضًا في هذه المسألة في كتابه ارتشاف الضرب بعد ذكره لآراء العلماء وردوده عليهم، وكان رأيه في هذه المسألة متناقضًا مع رأيه في منهج السالك[3].

والمتمعن لنصوص أبي حيان في كتابيه يجد أن أبا حيان كان يأخذ بالسماع والقياس غير أنه لم يكن يطلق القياس كالكوفيين، إذ إنهم جوزوا القياس على مثال واحدٍ، أو بيت من الشعر، أو النادر، أو الشاذ، وجوزوا القياس على ما يرد به سماع، وإنما كان يقيس على ما ورد به السماع، أو كان السماع به كثيرا يجوز في مثله القياس، وكذلك ما كان له شواهد كثيرة في اللغة. وأخذ على الكوفيين قياسهم على الشاذ بقوله: ((وقالوا في كمأة: كماة بإبدالها ألفا، وهو شاذ لا يطرد، وقاس عليه الكوفيون))[4].

٥- عدم تجيحه للعلل النحوية إذ إن العلل النحوية لا قيمة لها بجانب الوضعيات

ففي مسألة جواز تقديم التمييز على عامله أو امتناع ذلك يقول: ((كان بعض شيوخنا من أهل المغرب يقول: إياكم وتعاليل الرماني والوراق ونظرائهما، وكثيراً ما شحنت الكتب بالأقيسة الشبهية والعلل القاصرة وهي التي يعجز عن إبداء مثلها من له أدى نظر في الحالة الراهنة ولا يحتاج في ذلك إلى إمعان فكر ولا إكداد بصيرة، ولا حث قريحة ولذلك قال بعض الأدباء:

تَرنو بطرف فاترٍ فاترِ ... أضْعَفَ مِنْ حُجّةِ نحوي

وعلم العربية إنما هو من باب الوضعيات العربية ففي الحقيقة لا يحتاج فيه إلى تعليل، كما لا يحتاج في علم اللغة إلى تعليل فلا يقال لم جاء هذا التركيب في قولك زيد قائم هكذا ؟ كما لا يقال: لم يقال للعين الطرف ولليل الليل؟ ولا يقال لم كانت حروف المضارعة الهمزة والتاء والنون والياء ؟ ونبدي لذلك عللًا))[5].

(١) منهج السالك: ٢٩٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢١٤.
(٣) ينظر: ارتشاف الضرب: ١٦٠٩/٣-١٦١٠.
(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٧٢/١.
(٥) منهج السالك: ٢٣٠.

٦- عدّه الإعراب فرع للمعنى

اتخذ عند إعرابه لقولهم: نعم الرجل زيد، وأن في المخصوص (زيد) أعاريب عدة، منها: أنه مبتدأ وخبره محذوف، والتقدير: زيد الممدوح، قال: ((ورد بعض أصحابنا على من جوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر أن التقدير زيد الممدوح بأن الذي يقول نعم الرجل زيد ليس في نفسه نعم الرجل زيد الممدوح، ولا يمكن أن يحذف خبر المبتدأ إلا وهو مراد في النفس فيحذف للعلم به اختصاراً، وإنما حمل على هذا القائل به تجويز الإعراب من غير التفات للمعنى وذلك ليس بشيء بل لا ينبغي أن يوجه إعراب حتى يصح معناه))[١].

٧- اعتقاده أن الجنس البعيد يجعل بعض الحدود ناقصة

ودليله على ذلك هو ما ذكره في تعريف ابن مالك للكلام بأنه اللفظ المفيد، وأن اللفظ جنس بعيد ولو قال بأنه القول المفيد لكان أولى، قال ابو حيان: ((الكلام تركبه إنما هو من القول؛ لأنَّ الألفاظ مطلقًا فالقول جنس قريب واللفظ جنس بعيد ومتى أخذ في الحد الجنس البعيد مع الفصل كان الحد ناقصًا لأن فيه إخلالًا ببعض الذاتيات فصار نظير قولك: الإنسان جسم ناطق)) [٢].

الخلاصة:

عند دراستنا لكتابي (منهج السالك، الارتشاف،)لأبي حيان، تبيّن لنا ان منهج السالك جاء مبسوطًا جدًا واحتوى على نقول كثيرة جدًا، وأما في ارتشاف الضرب فأسلوبه الذي كتب به الكتاب كان بعيد كل البعد عن التلخيص، وإنما هو كتاب أنشأه صاحبه إنشاء، وكتبه مؤلفه على غير مثال، إذ كان محشو بالآراء ومليء بالأقوال فجاء غامضًا مبهمًا.

بينما كتابه منهج السالك عندما قرأناه تبين لنا أن كتابته واضحة خالية من الالتواء والتعقيد وجاء تأليفه مفهومًا خاليًا من الإبهام والغموض وجاء الكتاب بين التطويل والإيجاز، والبسط والاختصار، وإن اعتقد صاحبه أنه مختصر وذلك بالنسبة لكتابه ارتشاف الضرب، ثم كانت أبيات الألفية التي يشرحها لربما تمنعه من التطويل، فهو يشرح البيت واقفًا بالكلام عند كلام ابن مالك وملتزمًا بالقول الذي قاله ابن مالك مما جعله لا يطلق العنان لنفسه ويأتي بالنقول الكثيرة أو المسائل الطويلة كما فعل في كتابه ارتشاف الضرب.

(١) المصدر نفسه: ٣٩٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢.

الخاتمة:

توصل البحث إلى نتائج عدة، منها الآتي:

١- اتصاف أبي حيان بأنه ذو فكر علمي وفلسفي قلَّ نظيره، وتبيَّن ذلك في كتابيه ومنهجهما.

٢- اتبع الموضوعية العلمية في كلا الكتابين.

٣- كان كتابه منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك هو الأسبق في التأليف، ولم ين كاملًا، أما كتابه ارتشاف الضرب فقد ألَّفه بعد كتابه منهج السالك.

٤- إن كتابه منهج السالك كان أكثر إيجازًا واختصارًا من كتابه ارتشاف الضرب، فقد كان ارتشاف الضرب أكثر تفصيلًا.

٥- كان أبو حيان في كتابيه يعرض المسألة النحوية ذاكرًا آراء النحويين المتقدمين أمثال سيبويه والمبرد وابن السرَّاج والسيرافي والفارسي وغيرهم، ويكتفي بعبارات منها (ما ذهب إليه اصحابنا)، و(هذا ما ذهب إليه أصحابنا)، ويقصد بهم أهل البصرة أو أهل الأندلس (المغاربة).

٦- وجدنا في بعض المسائل رأيًا مختلفًا في كتابيه، ومن ذلك ما ورد في مسألة (وقوع الفعل الماضي حالًا) إذ إن رأيه في منهج السالك مخالف تماما لما موجود في ارتشاف الضرب.

٧- إن أسلوب أبي حيان هو أسلوب العالم المتزن طويل النفس يعرض المسألة عرضًا مفصلًا ويورد جميع آراء النحويين فيها من الآراء والحجج، ثم يرد عليهم بما يرجحه هو ويراه صائبًا.

٨- اعتمد أبو حيان على السماع والقياس في أصوله النحوية في كلا الكتابين، وكان يرجح السماع مما يؤيد كلامه من كلام العرب شعرًا ونثرًا.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان اثير الدين الأندلسي (ت-٧٤٥ه)، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨ه-١٩٩٨م.
- أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت-٧٦٤ه)، تح: د. علي أبو زيد، وآخرون، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٨ه-١٩٩٨م.
- البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين الأندلسي (ت-٧٤٥ه)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت-٩١١ه)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، د.ت.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، د.ت.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت-٨٥٢ه)، تح: محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط٢، ١٣١٢ه-١٩٧٢م.
- الرد الوافر، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين الشهير بابن ناصر الدين (ت-٨٤٢ه)، تح: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي أبو الفلاح (ت- ١٨٩ه)، تح: محمود الارناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الارناؤوط، دار بن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.
- طبقات الشافعية، أبو بكر بن محمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت-٨٥١ه)، تح: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

- طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداودي المالكي (ت-٩٤٥ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- غاية النهاية في طبقات القرّاء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف (ت-٨٣٣ه)، مكتبة ابن تيمية، د.م، ط١، ١٣٥١هـ.
- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت-٧٦٤ه)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.
- المعجم المختص بالمحدثين، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت-٧٤٨ه)، تح: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤٠٨-١٩٨٨م.
- معجم حفّاظ القرآن عبر التاريخ، محمد محمد سالم محيسن (ت-١٤٢٢ه)، دار الجيل، بيروت، ط١ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت-٧٤٨ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧-١٩٩٧م .
- منهج السالك في الكلام على الفية بن مالك، أبو حيان النحوي الأندلسي، طبعة المملكة المتحددة، ١٩٤٧م .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨-١٩٦٨م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت-٧٦٤ه)، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠-٢٠٠٠م.